باب التاريخ:

1 – العهدة العمرية – نموذج العدل في التعامل مع الآخر

The Umari Covenant – A Model of Justice in Dealing with the Other

بقلم الدكتورة نضال سليمان الإمام

أستاذ مشارك في الجامعة اللبنانية الدولية (LIU) / لبنان

Dr .Nidal Suleiman Al-Imam

Associate Professor at the Lebanese International University (LIU) / Lebanon

nidal.emam@liu.edu.lb

ملخص البحث

يتناول هذا البحث وثيقة **العهدة العمرية**، التي أبرمها الخليفة **عمر بن الخطاب** – رضي الله عنه – مع أهل القدس عند فتحها عام **15هـ / 636 م**، باعتبارها نموذجًا فريدًا للعدل في معاملة غير المسلمين. وتعكس هذه الوثيقة أرقى معاني **التسامح الإسلامي**، خاصةً عندما يكون التسامح صادرًا عن الأقوياء المنتصرين تجاه المحاصرين المستسلمين، كما تجسد بنودها.

تبرز الوثيقة القيم الإسلامية التي تقوم على **التسامح، وحفظ الحقوق، وتطبيق العدل بين الناس**، انسجامًا مع قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[1]. ويتجلى التطبيق العملي لهذا العدل في موقف عمر بن الخطاب عندما اشتكى له الرجل القبطي من اعتداء **ابن عمرو بن العاص**، فأمر الخليفة بإنصافه، وأعاد إليه حقه، بل وبّخ والي مصر قائلًا عبارته الشهيرة: **" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟."**

تتجلى أهمية البحث في تسليط الضوء على القيم **الإنسانية والحقوقية** التي كفلتها **العهدة العمرية**، باعتبارها **مرجعًا تاريخيًا** في إدارة التنوع الديني والثقافي، ونموذجًا يُحتذى به في تحقيق العدالة والتعايش السلمي.

Research Summary

This research examines the Umareyya Covenant, concluded by Caliph Umar ibn al-Khattab (may God be pleased with him) with the people of Jerusalem upon its conquest in 15 AH/636 AD. It is considered a unique model of justice in the treatment of non-Muslims. This document reflects the highest meanings of Islamic tolerance, especially when it is extended by victorious powers toward surrendering besieged people, as its provisions embody.

The document highlights Islamic values based on tolerance, the preservation of rights, and the application of justice among people, in harmony with the words of God Almighty: Indeed, Allāh orders justice and good conduct and giving [help] to relatives and forbids immorality and bad conduct and oppression. He admonishes you that perhaps you will be reminded)[2]The practical application of this justice is evident in the stance of Umar ibn al-Khattab when a Coptic man complained to him about the aggression of Ibn Amr ibn al-As. The Caliph ordered justice and restored his rights. He even rebuked the governor of Egypt, saying his famous phrase: “Since when did you enslave people when their mothers gave birth to them free?” The importance of this research lies in shedding light on the human and legal values guaranteed by the

1- سورة النحل: 90

2- سورة النحل، آية:90

Umareyya Covenant, as it serves as a historical reference for managing religious and cultural diversity and a model to be emulated for achieving justice and peaceful coexistence.

المقدمة:

يتناول هذا البحث وثيقة العهدة العمرية التي أبرمها الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع أهل إيلياء (القدس) عقب فتحها في سنة 15 هـ / 636 م، ويُعدُّ هذا الاتفاق نموذجًا فريدًا في تطبيق العدل تجاه غير المسلمين. تعكس الوثيقة المبادئ الإسلامية في التسامح وحفظ الحقوق، وضمان العيش المشترك بسلام.

إشكالية البحث:

تبرز إشكالية هذا البحث في فهم كيفية تجسيد العهدة العمرية، التي أبرمها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع أهل القدس، لنموذج العدل في التعامل مع الآخر، خاصة من غير المسلمين. فبينما يعد تاريخ الإسلام حافلاً بمواقف العدل والمساواة، يطرح السؤال حول مدى تطبيق هذه المبادئ في سياق الحكم الإسلامي على غير المسلمين في فترات الغزو والفتح. وكيف استطاع الخليفة عمر بن الخطاب من خلال هذه الوثيقة أن يضمن حقوق أهل الذمة ويحفظ كرامتهم، في الوقت الذي كان فيه المسلمون في موقع القوة والهيمنة؟

اهمية البحث:

وتتجلى الأهمية التاريخية للعهدة العمرية في كونها تعد ثاني الوثائق التي وضعت قاعدة لتعايش المسلمين مع غيرهم من الأديان في الدولة الإسلامية، بعد صحيفة المدينة التي أبرمها الرسول الكريم (ص) مع مختلف فئات المجتمع داخل المدينة المنورة، والتي وضعت أسسًا قانونية لحقوق وواجبات أهل الذمة. كذلك جاءت العهدة العمرية لُتعبرعن استمراريةالسياسة الإسلامية في التسامح الديني والعدالة الاجتماعية. على الرغم من أنها وثيقة تاريخية ترتبط بزمن معين، إلا أن المبادئ التي تضمنتها ما زالت تعتبر مراجع هامة لفهم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في العالم الإسلامي.

أما أهمية البحث فتبرز من خلال تسليط الضوء على القيم الإنسانية والحقوقية التي تضمنتها العهدة العمرية، والتي تعد مرجعًا تاريخيًا في كيفية إدارة التنوع الديني والثقافي.

أهداف البحث:

1. تحليل مضمون العهدة العمرية واستخلاص القيم التي رسَّختها.

2. إبراز دور العهدة في تحقيق العدالة والتسامح الديني.
3. تقديم مقارنة بين مبادئ العهدة والمواثيق الحقوقية الحديثة.

يأتي العهد في اللغة بعدة معانٍ، منها: الميثاق، والوصية، واليمين، والوفاء، والأمان، والذمة، والشرط، والحفاظ، ورعاية الحرمة، والزمان. وفي الاصطلاح، يعني العهد حفظ الشيء ومراعاته من حالة إلى حالة، ثم يُستخدم للإشارة إلى الموثق الذي يتعين الالتزام به.

وقد وردت العديد من الروايات عن نص العهدة، بعضها ورد بشكل مختصر، وبعضها الآخر جاء مفصلًا، ولكن جميعها مأخوذة من رواية الطبري التي نعتمد عليها في دراستنا هذه.

محتوى البحث

1. مقدمة تحتوي على اشكالية البحث والأهمية والأهداف
2. **السياق التاريخي للعهدة العمرية**

- فتح **بيت المقدس** وأهميته التاريخية.
- الظروف التي سبقت توقيع العهدة.

3. **نص العهدة العمرية وتحليلها**

- أهم **بنود الوثيقة** ومضامينها.
- **ضمانات الحماية والأمان** لغير المسلمين.
- الالتزامات المتبادلة بين المسلمين وأهل القدس.

4. **العهدة العمرية كنموذج للعدل والتسامح**

- حفظ **حقوق المسيحيين** وصيانة كنائسهم.
- مبدأ **عدم الإكراه في الدين**.

1. السياق التاريخي للعهدة العمرية:

بعد فتح المسلمون لبلاد الشام في السنة 15 هـ، إثر معركة اليرموك، وتمكنهم من السيطرة على العديد من المدن مثل حمص، قنسرين، غزة، اللاذقية، حلب، حيفا، ويافا، توجه القائدان عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح نحو فلسطين. قبل بدء الهجوم على القدس (إيلياء)، خاضوا معركة أجنادين ضد الروم وحققوا نصرًا كبيرًا، مما اضطر العديد من الروم إلى الهروب إلى القدس.

وصل المسلمون إلى القدس في فصل الشتاء، بعد حصار طويل دام لأربعة أشهر. وعندما شعر أهل المدينة بعدم قدرتهم على تحمل الحصار، عرضوا على البطريرك التفاوض مع المسلمين. طلبوا أن يتسلم الخليفة عمر بن الخطاب المدينة بنفسه. فأرسل أبو عبيدة بن الجراح

إلى أمير المؤمنين عمر بما تم الاتفاق عليه، فوافق عمر على ذلك وسافر إلى بيت المقدس حيث استقبله البطريرك صفرونيوس وكبار الأساقفة. تم الاتفاق على شروط التسليم، ووقع الخليفة عمر بن الخطاب العهدة العمرية، التي تُمثل علامة فارقة في تسامح المسلمين التاريخي.

الأهمية الدينية لبيت المقدس عند المسلمين:

تتمثل أهمية القدس لدى المسلمين في كونها أولى القبلتين، ولقد أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم منها، وصعد منها إلى السماء في حادثة المعراج. ولذلك، كانت القدس مركزًا روحياً هامًا.

خلال العهدة العمرية، أظهر الخليفة عمر بن الخطاب احترامًا بالغًا للنصارى والمقدسات المسيحية في القدس، حيث تم تأكيد حماية الكنائس والممتلكات. كان الخليفة عمر بن الخطاب هو نفسه من وقع العهدة، مما يدل على الأهمية الكبرى التي توليها الأمة الإسلامية للمسجد الأقصى ومدينة القدس بشكل عام.

نص العهدة العمرية:

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله، عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها.. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيِّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرِجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيَعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم حتى يبلغوا أمنهم. فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان .[1]

1- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (-224 310هـ): تاريخ الرسل والملوك، طبعة طهران.

محتوى العهدة العمرية

تُظهر العهدة العمرية مجموعة من الحقوق والواجبات التي تضمنها للمسيحيين، ومن أبرزها:

1. **حماية الأرواح والممتلكات** :نصت العهدة على أن المسلمين يجب أن يحترموا أرواح غير المسلمين وأموالهم. وهذا يتفق مع ما جاء في السنة النبوية من تحريّم قتل المعاهدين أو الاعتداء عليهم.

حماية أماكن العبادة :تم تضمين الأمان للكنائس والصلبان في العهدة[1]، مما يعكس احترام الدولة الإسلامية لحرية العبادة للأديان الأخرى.

2. **حرية الدين** :العهدة العمرية تضمن الحرية الدينية لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) في ممارسة شعائرهم دون تدخل من السلطة الإسلامية، وهو ما يختلف عن السياسات التي كانت تُتّبع في بعض الدول المجاورة في ذلك الوقت[2].

3. **الجزية** :اشترطت العهدة على أهل الذمة دفع الجزية كواجب تجاه الدولة الإسلامية مقابل حمايتهم. الجزية كانت تمثل مساهمة مالية من أهل الذمة مقابل خدمات الدفاع والحماية.

4. **العدالة في المعاملة** :كما نصت العهدة على أن أهل الذمة يعاملون بعدالة، ولا يمكن أن يتعرضوا للتمييز أو الظلم في الدولة الإسلامية. وذكر ذلك في عدة روايات تاريخية، منها ما قاله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ذمة الله وذمة رسوله في عنق خليفته»

5. **العدوان الداخلي والخارجي** :العهدة العمرية تضمّنت كذلك حماية أهل الذمة من العدوان الداخلي والخارجي، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب يوصي بضرورة الوفاء بالعهد وحماية حقوقهم.

العهدة العمرية في السيرة النبوية

تُعد العهدة العمرية امتدادًا لمبادئ السيرة النبوية التي سبق أن وضعتها الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم، تم إبرام العديد من الاتفاقات مع اليهود والنصارى تتضمن احترام حقوقهم في ممارسة دينهم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد على

1- يعد الصليب عند النصارى رمزًا للإيمان ويفتخرون به، رغم أن صاحبه لحق به الأذى، وهم يقدسونه ويعدون من حمله علامة على أنه من أتباع السيد المسيح.

2- زانا محمد أمين سعيد ومزية مصطفى، تسامح الاسلام في العهدة العمرية: دراسة تحليلية، بحث منشور في مجلة التجديد مجلد 21 العدد 41، الجامعة الاسلامية العالمية / ماليزيا، ص: 89

عدم الاعتداء عليهم وحمايتهم. وقد ورث الخليفة عمر بن الخطاب هذه المبادئ وأضاف إليها بعدًا تنظيميًا من خلال العهدة العمرية.

النقد والتفسير

العهدة العمرية قد تكون موضوعًا للنقد والتفسير في السياقات المختلفة. بعض المفكرين يعتقدون أن الوثيقة تؤكد على السياسة السلمية التي كانت تتبعها الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في وقت الفتوحات، بينما يرى آخرون أن تطبيق الشروط كان يتفاوت في فترات لاحقة من التاريخ الإسلامي. كما أن البعض يلفت الانتباه إلى أن النصوص التاريخية الخاصة بالعهدة غير موحدة وقد تختلف بعض التفاصيل حسب الروايات.

وقد تميزت العهدة بحماية الأرواح والأموال وحرية الدين، ما جعلها نموذجًا للتسامح والعدالة. رغم مرور قرون على العهدة، فإن قيمها ومبادئها تظل محط اهتمام ودراسة لفهم كيفية تعامل الدولة الإسلامية مع غير المسلمين في فترات التاريخ المختلفة.

إن الآية الكريمة التي تقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[1]، تؤكد على أن العدل هو الأساس في التعامل بين جميع الناس، بغض النظر عن ديانتهم أو مكانتهم. الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بالقيام بالقسط والعدل، ولا يجوز لهم التحيز أو اتباع الهوى في الحكم. هذه الآية تشكل مبدأ أساسيًا في التعامل مع الآخرين. وهي أصل من أصول الإسلام، في القرآن الكريم التي تحدد أساسيات التعامل بين المسلمين بعضهم البعض، وبين المسلمين والآخر سواء كان الآخر من أهل الكتاب النصارى واليهود أو من غير أهل الكتاب كالمشركين وغيرهم.

وبالتالي فإن حرية العقيدة والعبادة وإبداء الرأي محفوظة لغير المسلمين الساكنين في ظل الدولة الإسلامية، والاعتراف بذلك مبدأ مقرر في الإسلام، ويعد ذلك مظهرًا من مظاهر التسامح الإسلامي، وقد تضمنت العهدة العمرية ما يكفل للنصارى الساكنين في القدس هذه الحقوق:

حرية العقيدة فقد ورد فيها: «**ولا يكرهون على دينهم**»، وقد اعتمد الخليفة في كتابة هذا البند وإقرار هذا الحق على ماقد سبق وعامل به النبيّ نصارى نجران المعاملة

1- سورة النساء:آية: 135

نفسها حيث كتب لهم: «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمّة محمّد النبيّ، على أنفسهم وملّتهم وأراضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وألا يغيّروا ممّا كانواعليه ولا يغيّر حقّ من حقوقهم ولا ملّتهم، ولا يغيّروا أسقفًا من أسقفيته ولا راهبًا من رهبانيته»[1]

ولهذا صرح الفقهاء بأن المسلمين مأمورون بأن يتركوا أهل الذمة وما يدينون.[2] وتلك أما مسألة بناء الكنائس والمعابد، وإقامة الشعائر الدينية بعامة، فقد فصل الفقهاء القدامى القول في الأمصار والقرى من حيث الإذن بإحداث الكنيسة فيها أو عدمها، أمّا الأمصار والمدن فقسموها إلى ثلاثة أقسام:

أولها ما أنشأه المسلمون ومصروه كالكوفة وبصرة وبغداد، فإنه لا يجوز إحداث الكنائس فيها عند المذاهب الأربعة، **وثانيها** ما فتحه المسلمون من بلاد النصارى عنوة، فلا يجوز إحداث الكنائس فيها، وهذا عند المذاهب الأربعة أيضًا، وقد خالفهم في ذلك ابن القاسم المالكي إذ يرى جواز إحداث الكنائس فيما فتحت عنوة إذا أذن الإمام، **وثالثها** البلاد التي فتحت صلحًا، فإن كان الصلح على أن تكون الأرض لهم مقابل الخراج للدولة الإسلامية يجوز لهم إحداث الكنائس، وإن علامة على أ نه من أتباع السيد المسيح.

إنالآية الكريمة التي تقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء: 135)، تؤكد على أن العدل هو الأساس في التعامل بين جميع الناس، بغض النظر عن ديانتهم أو مكانتهم. الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بالقيام بالقسط والعدل، ولا يجوز لهم التحيز أو اتباع الهوى في الحكم. هذه الآية تشكل مبدأ أساسيًا في التعامل مع الآخرين، بما فيهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وكذلك غيرهم[3].

أما حرية العقيدة والعبادة، فهي مضمونة في الشريعة الإسلامية. فكما جاء في القرآن الكريم: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة:

1- الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2،. 1406 هـ/ 1986 م)، ج 2، ص 312 .

2- زانا محمد أمين سعيد ومزية مصطفى، تسامح الاسلام في العهدة العمرية: دراسة تحليلية، بحث منشور في مجلة التجديد مجلد 21 العدد 41، الجامعة الاسلامية العالمية / ماليزيا، ص: 89

3- الحلقة (14) من فضائية الرسالة برنامج البرنامج، بعنوان العهدة العمرية. ضيف الحلقة: الدكتور عبد الله معروف أستاذ دراسات بيت المقدس في جامعة طيبة في المدينة المنورة، المقدم: د. عمر الجيوسي تاريخ الحلقة: 27/01/2012م
https://youtu.be/cKoUF0i8Og0

256)، وهذا يشير إلى أنه لا يجوز إجبار أي شخص على اعتناق الإسلام أو التخلي عن دينه. في هذا السياق، العهدة العمرية التي أبرمها الخليفة عمر بن الخطاب مع أهل القدس تضمن لهم حقوقهم الدينية، مثل عدم إكراههم على تغيير دينهم أو الاعتداء على أماكن عبادتهم.

فيما يتعلق بالكنائس والمعابد، كانت الشريعة الإسلامية قد نظمت مسألة بناء دور العبادة لغير المسلمين. في بعض البلدان التي فتحت عنوة، كالعراق والشام، كانت الشريعة تفرض قيودًا على بناء الكنائس الجديدة. أما في الأراضي التي فتحت صلحًا، فكان يُسمح لأهل الكتاب ببناء كنائس ومعابد جديدة، بشرط أن يدفعوا الخراج ويعيشوا تحت حماية الدولة الإسلامية.

إلى جانب ذلك، كانت الحقوق السياسية والاجتماعية لأهل الكتاب محفوظة في ظل الدولة الإسلامية، بما في ذلك الحق في إبداء الرأي والمشاركة في الحياة العامة دون التعرض للاضطهاد. وهذا يُظهر التسامح الإسلامي الذي يعترف بحرية العقيدة ويحترم التنوع الديني في المجتمع.

وأما حقهم في إبداء رأيهم فقد كفلتها لهم العهدة العمرية أيضًا، وذلك في البند الذي اشترطه النصارى على عدم السماح لليهود بمساكنتهم القدس، وأدخلوه في المعاهدة، حيث ورد فيها: «**ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود**»، هذا مع أن بعض الباحثين يشكون في صحة هذا البند لمخالفته للواقع، إذ لم يثبت في المصادر التاريخية بأن الخليفة أخرج أحدًا من اليهود،ولكن بعد البحث في الزمن الذي كتب فيه العهد، تبين للبحث أن هذا الشرط من شروط النصارى، صحيح، وأنه دليل على صحة العهد ونسبته إلى عمر ويدل على أنه كان لهم الحرية في إبداء رأيهم، مع أن المسلمين كانوا يعيشون مع اليهود في مواطن كثيرة، إلا أنهم قبلوا هذا من النصارى احترامًا لرأيهم، والدليل على أن النصارى هم الذين اشترطوا ذلك في العهد، هو تلك العلاقة السيئة التي كانت بين اليهود والنصارى حينئذٍ، والمؤامرات التي صدرت من اليهود اتجاه النصارى، إذ تعاونوا مع الفرس حينما حاربوا البيزنطيين في الشام، ولا سيما حين وصلوا إلى فلسطين، فانضم إليهم خمسة وعشرون ألف يهودي، ساندوهم في إحراق الكنائس النصرانية، وأعمال القتل والنهب التي تعرض لها النصارى في القدس، وبعد الاستيلاء على القدس أوكَل الفرس إدارة المدينة لليهود مكافأة على مساعدتهم، وارتكبوا فيها بمساعدة اليهود مذبحة رهيبة ضد النصارى قُتل فيها ثلاثة

وثلاثون ألف شخص، وأسروا أعدادًا منهم ونقلوهم إلى المدائن، واستمرت سيطرة اليهود على القدس ثلاث سنوات، اشتغلوا فيها بالانتقام من النصارى، حتى استعادت الروم سيطرتها على القدس مرة أخرى، 4 وهذه الأحداث قد وقعت قبل اثنتين

وعشرين سنة من وصول الخليفة عمر بن الخطاب إلى القدس وفتحها عام (15 هـ)، والبطريرك الذي تفاوض المسلمون معه كان قد عاصر هذه المذبحة، إذ كان في مصر قبل أن يتولى بطريركية القدس، فليس من المستبعد أن يكون البطريرك قد اشترط ذلك في المفاوضات خوفًا من أن يتكرر التاريخ بأن يتحالف اليهود هذه المرة مع المسلمين للقضاءعليهم[1].

ومن المحتمل أن عبارةٍ «ألا يساكنهم فيها اليهود» المذكورة في النصين إنما تدل على أن القدس كما هو معلوم تاريخيا كانت خالية من اليهود، ولم يشأ النصارى أن يسكنها اليهود من جديد تحت حكم المسلمين. وليس كما فسرها اليهود سن أن اليهود كانوا يسكنون في القدس, واشترط النصارى على المسلمين إخراجهم منها.

الحقوق الاقتصادية للمسيحيين في الإسلام

حفظ الإسلام للذميين حقوقهم الاقتصادية، مثل حق التملك والعمل، حيث أتاح لهم المشاركة في الأنشطة الاقتصادية داخل المجتمع الإسلامي. العهدة العمرية لم تغفل هذين الحقين الأساسيين. فيما يتعلق بحق التملك، ورد في العهدة: «أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم... ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم... فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله...»، مما يدل على أن الذميين، في القدس، لهم الحق في امتلاك الأموال وحمايتها.

كما أشار الحديث إلى أن الذميين لا يجوز أخذ شيء من أموالهم إلا الجزية أو ما تم الاتفاق عليه. فقد روي عن ابن عباس: «أخذ شيء من أموالهم إلا الجزية أو ما صولحوا عليه». وكذلك، فإن الذميين يُسمح لهم بالعمل وكسب الرزق، فقد تم التنبيه في العهدة العمرية إلى أن «من كان بها من أهل الأرض... فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم»، مما يعكس حرص الإسلام على ضمان حقوقهم في العمل والإنتاج[2].

1- محمود، شفيق جاسر أحمد، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلام حتى الحروب الصليبية، (عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1984 م)، ص 4.

2- الحِميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: مؤسسة ناصرللثقافة،1980م) ص69.

الذميون في المعاملات الاقتصادية، مثل التجارة والبيع، يُعاملون مثل المسلمين، إلا أن هناك بعض المحظورات عليهم، مثل المعاملات الربوية، وبيع الخمور والخنازير داخل دار الإسلام. لكنهم يُسمح لهم بممارسة هذه الأنشطة في قراهم وأماكنهم الخاصة. كما أن لهم الحق في الاستفادة من المرافق العامة مثل وسائل النقل والمواصلات والكهرباء.

واجبات نصارى القدس وفقًا للعهدة العمرية

العهدة العمرية وضعت أيضًا بعض الواجبات على نصارى القدس. وأحد أبرز هذه الواجبات هو إخراج الروم واللصوص من القدس، حيث ورد في العهدة: «وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص»، والمراد هنا بالروم هم البيزنطيون الذين كانوا يشكلون الحامية العسكرية للمدينة قبل الفتح، أما اللصوص فيعني بهم الأفراد الذين يشكلون تهديدًا للأمن. كان هذا الواجب على عاتق النصارى لأنهم كانوا المقيمين في المدينة.

أما الواجب الآخر فهو دفع الجزية، حيث ورد في العهدة: «وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن»[1].

الواجب الثاني على نصارى القدس وفقًا للعهدة العمرية هو دفع الجزية، حيث ورد في نص العهدة: «وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن». وفيما يتعلق بالروم، ذكرت: «ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية». كما جاء في حق المزارعين: «فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية». بما أن موضوع الجزية غالبًا ما يُستخدم من قبل المستشرقين كمدخل للطعن في تسامح الإسلام مع أهل الذمة، يسعى الباحث لتوضيح تعريف الجزية، ودليل مشروعيتها، والشروط التي تجب فيها، والمقدار الذي تُفرض به، والأوقات التي تسقط فيها، والهدف منها، وتسامح الإسلام في التعامل معها.

1. تعريف الجزية:

الجزية، من الناحية اللغوية، تعني الخراج الذي يُأخذ من الأرض، أو ما يُؤخذ من الذميّ. والجمع منها هو جِزًى أو جِزْيٌ أو جِزاءٌ. أما اصطلاحًا، فهي المال المقدر الذي يُأخذ من الذميّ، وتعد ضريبة تُفرض على الرؤوس. ويجب على الذمي دفعها للدولة الإسلامية في المواعيد المحددة، طالما توافرت الشروط اللازمة، ولم يكن هناك ما يسقطها.

1- أبو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ص 197

2. **دليل مشروعيتها:**

تعد الجزية أمرًا متعارفًا عليه في كثير من الأنظمة الاجتماعية، حيث يُقرّ النظام حق الأقليات في العيش بأمان، ويُقابل ذلك ضمانات الحماية والعدالة لهم، وهي تندرج ضمن حقوقهم الأساسية في المجتمعات التي يقيمون فيها.

3. يؤكد المؤرخ جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» أن الإسلام لم ينتشر باستخدام السيف، بل انتشر بفضل الدعوة فقط، ومن خلال هذه الدعوة اعتنقته الشعوب. ويضيف أن الإسلام لم يقتصر على الدعوة للتسامح الديني، بل جعل التسامح جزءًا من شريعته. تجلت أروع صور التسامح في الإسلام عندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مدينة القدس، حيث قدم كبير أساقفتها له مفاتيح الأماكن المقدسة. وحين حان وقت صلاة الظهر وكان عمر في كنيسة القيامة، طلب من رجل الدين أن يدلّه على مكان للصلاة، لكنه رفض أن يصلي داخل الكنيسة قائلاً: «لو فعلتُ ذلك، لطالب المسلمون بها»، فصلى في الشارع.

4. ويعلق المؤرخ الفرنسي بيرجرون على هذا الموقف قائلاً: «إن هذا العمل يعكس نبلاً وشهامة باحترام الأديان الأخرى.»

5. ويتساءل: ماذا كان رد الغرب على ذلك؟ ماذا كان رد المسيحيين الأوروبيين، علماً أن المسيحيين الشرقيين قاتلوا بجانب المسلمين ضد الصليبيين؟ ويجيب بيرجرون: «في تاريخ الحروب الصليبية، نجد أن عام 1099 شهد دخول جنود وفرسان أوروبا إلى القدس، حيث سقطت المدينة في مذبحة مروعة لطخت سمعة الحملات الصليبية".

6. ويبرز تسامح الإسلام مجددًا عندما حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، حيث أظهر إنسانية ورحمة في معاملة أهل المدينة، واحترم أماكن العبادة المسيحية. أما بالنسبة للجنود الصليبيين من اليتامى والشيوخ والأرامل، فلم يطلب منهم فدية للإفراج عنهم، بل قدم لهم مساعدات مالية. إذا كانت الصورة الأولى مفعمة بالقسوة والوحشية، فإن الصورة الثانية تجسد الرحمة والإنسانية، ويظهر الفرق الشاسع بين همجية الغرب وعطشه للدماء، وبين سماحة الإسلام ورحمته في الجهاد.

الخاتمة

تُعد العهدة العمرية شهادة تاريخية على التسامح والعدل في الإسلام، حيث قدمت نموذجًا فريدًا لضمان حقوق غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي، وهو ما يجعلها مرجعًا هامًا في تعزيز مفاهيم السلام والتعايش في المجتمعات المتعددة الأديان.

هذا التطبيق العملي للعدل والتسامح يُعد نموذجًا قديمًا في تاريخ الإسلام. حيث أكدت على حماية الحريات الشخصية والدينية، وعدم المساس بالممتلكات والكنائس.

النتائج والتوصيات

أكدت العهدة العمرية على عدل الإسلام واحترامه للتعددية الدينية.

تمثل نموذجًا يُحتذى به في إدارة العلاقات بين الأديان والثقافات.

يمكن الاستفادة منها في تطوير مفاهيم المواطنة والتعايش السلمي في العصر الحديث.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. أبو عبيد، القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق: خليل محمد هراس (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ص 197
2. الحلقة (14) من فضائية الرسالة برنامج البرنامج، بعنوان العهدة العمرية. ضيف الحلقة: الدكتور عبد الله معروف أستاذ دراسات بيت المقدس في جامعة طيبة في المدينة المنورة، المقدم: د. عمر الجيوسي تاريخ الحلقة: 27/01/2012م https://youtu.be/cKoUF0i8Og0
3. الحِميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: مؤسسة ناصرللثقافة،1980م) ص69.
4. د.عبد العزيز الدوري: (فكرة القدس في الإسلام) بحث أعده للمؤتمر التاريخي لبلاد الشام (فلسطين) المنعقد بالجامعة الأردنية سنة 1980م.
5. زانا محمد أمين سعيد ومزية مصطفى، **تسامح الاسلام في العهدة العمرية: دراسة تحليلية**، بحث منشور في مجلة التجديد مجلد 21 العدد 41، الجامعة الاسلامية العالمية / ماليزيا، ص: 89
6. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (224-310هـ): تاريخ الرسل والملوك، طبعة طهران.
7. الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2،1406 . هـ/ 1986 م)، ج 2، ص 312 .
8. محمود، شفيق جاسر أحمد، **تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلام حتى الحروب الصليبية**، (عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1984 م)، ص 4.